

إنجازيه الفعل الكلامي في الشعر التحرري

إلى طغاة العالم - لأبي القاسم الشابي انموذجا

The achievement of the speech act in the liberation poetry to the tyrants
of the world - by Abu al-Qasim al-Shabi as a model



ط.د. تجاني فتيحة*

جامعة الوادي

tedjani-fatiha@univ-eloued.dz

د. مدلل نجاح

جامعة الوادي

Medellel-nadjah@univ-eloued.dz

تاريخ الاستلام: 2025/02/21 تاريخ القبول 2025/05/23 تاريخ النشر 2025/06/03



ملخص:

تدعى لتداولية بعلم التواصل الإنساني لأنها تدرس اللغة في مجال الاستعمال والاتصال، وتعد نظرية الأفعال الكلامية نواة الفكرة التداولية حيث أن الأفعال وحدها تملك خاصية الإنجاز والاستعمال. مع مراعاته السياق والمقام والظروف النفسية والاجتماعية للوصول الى قصد المتكلم من كلامه. وللفعل الكلامي خصائص لنجاح إنجازه وتأثيره على المتلقي. وقد درس العرب قديما الأفعال الكلامية كمنهج وتطبيق وليس كنظرية جديدة أرسى قواعدها الغرب، فقد طبقوا المنهج التداولي في دراساتهم ضمن ظاهرة "الخبر والإنشاء". وسنأخذ وفق هذا المنهج تحليل لنموذج من الشعر التحرري " إلى طغاة العالم" لأبي القاسم الشابي.

* المؤلف المراسل

الكلمات المفتاحية: التداولية ،أفعال الكلام ،الأفعال الإنجازية ، القصصية ،المقام ،

السياق .

Abstract

Pragmatics is a science of human communication that studies language in terms of usage and communication. The theory of speech acts is at the core of pragmatic thought, emphasizing that acts alone are characterized by illocutionary and usage characteristics, taking into consideration context, situation, and psychological and social circumstances to understand the speaker's intention. Speech acts have specific characteristics that contribute to achieving an illocutionary act and have an impact on the recipient. In the past, Arabs studied speech acts as a method and application rather than a new theory, establishing its foundations in the West. They applied the pragmatic approach in their studies within the phenomena of constatives and performatives. Following this approach, a model of liberating poetry entitled "Ela Toghat Al Alaam" (To the Tyrants of the World) by Abou El-kacem Chebbi will be analyzed.

key words: Pragmatics, speech acts, performative acts, intentionality, situation, context.

مقدمة

إن نظرية الأفعال الكلامية تهتم بعلاقة اللغة بمستعملها، وبالمعنى الوظيفي للملفوظات أثناء الاستعمال اللغوي ولأن اللغة لها وظيفة تواصلية تسعى للوصول لأعراض المتكلم وقصده ، فهي تهتم بالمتكلم والمتلقي والكلام والمقام والسياق والقصد وبالظروف الاجتماعية (عناصر داخلية وخارجية) لضمان التأثير على المتلقي. لذا فهي تهتم بمقتضيات الخطاب وبالوظيفة التواصلية التي يؤديها، ولهذا سميت التداولية "بلسانيات الحوار والملكة التبليغية".

وللتعريف أكثر بهذه النظرية سنتناول مفهوم الفعل الكلامي ونذكر بعض خصائصه ونظرية الأفعال الكلامية عند أوستين وسيرل ومرجعيتها في التراث العربي. كما سنتطرق إلى تقسيمات الأفعال الكلامية عند كل من أوستين وسيرل. وسنبين مدى انجازية الأفعال في التأثير على المتلقي.

1 مفهوم الفعل الكلامي :

الفعل الكلامي هو كل لفظ له نسق نحوي سليم. يحمل دلالة، ويحقق أغراضا انجازية غايتها التأثير على المتلقي. فكل الملفوظات عند " أوستين " تمثل انجازات بشرط ملائمة السياق ومقتضى الحال، لتجلي المعاني.

2- خصائص الفعل الكلامي :

للفعل الكلامي خصائص مهمة لنجاح الفعل الإنجازي نوجزها فيما يلي :

- أن يكون الفعل قول
- له تركيب نحوي سليم
- يحمل القول معنى
- طبيعته سياقية
- متفق عليه اجتماعيا
- يؤثر على المتلقي
- يحقق أغراض انجازية¹.

وتظهر أغلب هذه الخصائص في مفاهيم التداولية فهي تدرس كيفية اصدار المخاطبين فعلا كلاميا أو تواصليا، وتهتم بالأسباب التي تؤدي إلى نجاح المتحاورين أثناء مخاطبتهم. وقصدهم من كلامهم².

3- أفعال الكلام عند أوستين وسيرل :

3- أ- أفعال الكلام عند " أوستين "

وضح "أوستين" صاحب نظرية الأفعال الكلامية نوعين من الأفعال :

أفعال اخبارية : (تقريرية) يحكمها معيار الصدق والكذب.

أفعال أدائية: (انشائية) يحكمها معيار النجاح والاختفاق

وأتى بفكرة العبارات الانجازية وهي عنده نوعين :

أ - انجازية صريحة: فعلها ظاهر من الألفاظ.

ب- انجازية ضمنية: فعلها غير ظاهر نفهمه من خلال السياق. نحو (الجو بارد =

يريد اغلاق النافذة)

وقد ميز فيها بين ثلاثة أنواع من الأفعال الكلامية :

- فعل قولي

- فعل انجازي

- فعل تأثيري

وصنف أوستين خمسة أنواع للأفعال الكلامية :³

1-الأفعال الحكمية **verdicti ves** :وتظم الافعال المتعلقة بإصدار أحكام مثل

(حكم، قرر....)

2-الأفعال التمرسية **exersiti ves** : وتظم قرارات صادرة من سلطة (كقرار تعيين

أو تنصيب...)

3- أفعال التكليف الوعدية **comessi ves** : وهي التي يلزم فيها بفعل ما مثل

(الوعد، التعهد.....)

4 الأفعال التعبيرية **expositi ves** : وهي الأفعال التي يعبر فيها عن حالة شعورية

أو موقف نفسي

5- أفعال السلوكات (الاجباريات) **comportmentau**: وهي. التي تمثل اصدار ردود أفعال تجاه سلوك معين(كالاعتذار والتهنئة)⁴

3-ب- أفعال الكلام عند " سورل " :

اتسع مفهوم الفعل الكلامي كثيرا عند " سورل ". ليشمل جميع المنطوقات واعتبر كل الجمل انجازية مع اختلافها في الغرض. حيث انطلق من قواعد ومبادئ وضعها أستاذه "أوستين"، فأكد على الربط بين العبارة اللغوية ومقاصد المتكلمين. فطور فيها وأضاف بعض النقاط منها :

- عد الفعل الانجازي هو الوحدة الصغرى للاتصال اللغوي.

- أضاف الفعل القضوي.

- أعاد تقسيم الفعل الكلامي الى أربعة أقسام.

- فعل التلفظ

- الفعل القضوي

- الفعل الانجازي

- الفعل التأثيري

وصنفها خمسة أصناف هي :

- التأكيدات **assersifs** : وتجعل المتكلم ينخرط في القضية.
- الأوامر **directifs** : تحمل المخاطب على القيام بأمر.
- الالتزامية **commissifs** (أفعال التعهد) : وهي التي تلزم المتكلم بفعل ما. في المستقبل ..

- التصريحات **Lexpressifs** : وهي التي يصرح فيها عما يريده.
- الإنجازيات **declorations** : تكون حيث التلفظ ذاته ⁵

4 - مرجعيتها في التراث العربي :

تناول العرب قديما " الأفعال الكلامية " بالدراسة كتطبيق ومنهج ، وليس كنظريات جديدة استحدثها الغرب ، وأشار الكثير من علماء اللغة والنحو والبلاغة العرب في دراساتهم إلى التداولية الحديثة وتسميات مخالفة.⁶

- ففي علم اللغة : نجد " ابن جني " وضع ركائز التداولية من خلال تعريفه للغة في قوله : (حد اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم) فأوجز تعريفها بأنها كلام متواضع عنه اجتماعيا لمقاصد ما.

- وأجاد "الخليل ابن أحمد الفراهيدي " في التبويبات وصناعة المعاجم.
- و"ابن خلدون"الظي أفاض في الملكة اللغوية ،وأصل في "مقدمته"للتعليمية حيث تكلم فيها عن كل المعلم والمتعلم وكيفية التعليم الناجح وشروطه.
- وفي النحو تطرق "سيبويه " الى المعاني العميقة، حيث يعد القسم تأكيد للكلام و" التنبيه " من الوظائف التواصلية للاستفهام.

- وفي البلاغة برز نجم "عبد القاهر الجرجاني " في نظرية "النظم " و"المعنى ومعنى المعنى ". ففي تراثنا البلاغي وفي وجوب مطابقة الكلام لمقتضى الحال. في ثنائية " الخبر والإنشاء " التي تشبه إلى حد بعيد ثنائية "الوصف والإنجاز ".⁷

إن نجاح المنهج التداولي في تحليل النصوص كونه يدرس اللغة أثناء الاستعمال مراعي السياق والمقام وقصد المتكلم من كلامه، والعوامل النفسية والاجتماعية المحيط بانتاج الكلام. فالتحليل التداولي للخطاب يركز على مالم يتم قوله، وما لم يكتب ضمن الخطاب المراد تحليله⁸ وهو ما يؤكده "بول غرايس " " PGris " في محاضراته بجامعة هارفرد سنة 1967 صاحب فكرة "الاستلزام الحواري" أن القول يحمل أكثر من ملفوظه⁹. ومنه كان الشعر مرآة عاكسة صورت لنا حياة الشعوب. فالشعر ديوان العرب أرخ لتاريخهم وحياتهم وأفراحهم وأقراحهم وبطولاتهم وأمجادهم ،واشتهر العرب قديما وحديثا بقول الشعر، لذا

جاء القرآن إليهم معجزا في فصاحته وبلاغته، ولما كانت الكلمة أحد من السيف، كانت أهميتها ودورها الذي أدته في الحروب، كما كان للشعر دورا كبيرا في الدعوة الإسلامية، فبعد أن نبذ الرسول " صلى الله عليه وسلم " قول الشعر، أمر "حسان بن ثابت " بهجاء قريش فقال له : (أهجهم وروح القدس معك) وهذا لما تأكد ما لوقع الكلمة والتي هي أشد عليهم من وقع النبال ، وهي مواقف تبرز انجازية الأفعال التي أدت دور السلاح، ولهذا كان الشعر التحرري يزيد في حماسة الشعوب وصمودها لتحرير أوطانها، حتى أن القارئ لهذه الأشعار يحس بمدى صدق القضية فيتأثر بها وكأنها قضيته. ففي أغلب الأشعار التحررية يعبر الشاعر عن واقعه المعاش من ظلم واضطهاد، ثم يذكر الجرائم الشنيعة التي ارتكبتها المستعمر والتي تبين دناءته وحقارته وتبين غضب الشعوب لمضطهدة ومقاومتها وثورتها، ويخلص إلى التأكيد على أن الشعوب الثائرة سوف تنتصر لإيمانها بصدق قضيتها. وسنأخذ بالدراسة كنموذج قصيدة " الى طغاة العالم " للشابي.

الأفعال الكلامية في قصيدة " الى طغاة العالم " لأبي القاسم الشابي :

تنوعت الأفعال الكلامية في القصيدة بالرغم من قصرها ومنها :

1-الأفعال الاخبارية : والملائمة لوصف الوقائع والأحداث وغرضها الانجازي هو

نقل الوقائع بأمانة، قصد التأثير على المتلقي. حيث وصف الشاعر المستعمر بـ (الظالم المستبد - حبيب الظلام - عدو الحياة) في قوله :

ألا أيها الظالم المستبد حبيب الظلام عدو الحياة¹⁰

ثم راح يذكر جرائمه ويعدددها في قوله :

سخرت بأانات شعب ضعيف وكفك مخضوبة من دماه

وسرت تشوه سحر الوجود وتبذر شوك الأسى في رياه¹¹

فوصفه بالسفاح المتجبر والطاغية المفسد في الأرض. في (سخرت بأنات - سرت تشوه) وغرضها الإنجازي هو توضيح صورة المستعمر للرأي العام والتي تعكسها جرائمه الدنيئة، لكشف حقيقته للقارئ فيتأثر ويتخذ موقف منه كالكره والحقد وإدانته.

2-الأفعال الطلبية: وهدفها جعل المخاطب يقوم بأمر.

- النداء : وهو من الأساليب الإنشائية الطلبية المراد منه الاقبال ،حيث خرج عن حقيقته فحمل شحنات المنادي الانفعالية، وغرضه لفت انتباه القارئ ليكتشف جرائم المستعمر ،ومنها قوله :

ألا أيها الظالم المستبد حبيب الظلام عدو الحياة¹²

استهل الشابي قصيدته بالنداء قصد لفت الانتباه عند ذكر جرائم المستعمر. التي عددها قصد جعل المتلقي ينفعل ويقوم بردة فعل ضده.

- الأمر : في قوله :

رويدك لا يخذعك الربيع وصحو الفضاء، وضوء الصباح

ففي الأفق الرحب هول الظلام وقصف الرعود وعصف الرياح¹³

حيث يطلب منه التمهّل (رويدك) وعدم الانخداع بالهدوء، فستثور العواصف وتقصف الرعود، وهي الثورات المعبرة عن غضب الشعوب ومقاومتها وعدم استسلامها لواقعها المعاش، وغرضه الإنجازي اللوم والعتاب.

وفي قوله :

حذار / فتحت الرماد اللهب ومن يبذر الشوك يجني الجراح¹⁴

فيحذره أن النار تحت الرماد الذي خلفه ،و أنه سيحني جراح الشوك الذي بذره من قتل وأسى. وغرضه الإنجازي هو التهديد. والوعيد.

وكذا قوله:

تأمل / هنالك أنى حصدت رؤوس الورى وزهور الأمل.

ورويت بالدم قلب التراب وأشربته الدمع حتى ثمل¹⁵
حيث يأمره بإمعان النظر (تأمل) وغرضه تذكيره بجرائمه وكثرة قتلاه من رجال وأطفال،
كناية على كثرة دمائهم التي ارتوت بها الأرض حتى الثمالي. وغرضها الانجازي هو
العتاب والإشادة بشناعة جرائمه.

3-الأفعال التعبيرية :و تشمل كل الأساليب التي يعبر فيها عن مشاعره.

كقوله :

ففي الأفق الربح هول الظلام وقصف الرعود وعصف الرياح¹⁶
ويعبر فيها الشاعر عن مشاعره وغضبه فوظف الأفعال (هول، قصف ،عصف)
وغرضها الانجازي هو التخويف والترهيب من الثورات التي ستندلع وتقلعه من جذوره.
ويبين له ان الشعوب ستقاومه حتى الاستقلال.

4-الأفعال الالزامية :وهي أفعال هدفها جعل المتكلم ملتزما بعمل ،وغرضها
الانجازي هو التزام المتكلم بفعل في المستقبل ومنها قوله :

سيجرفك السيل سيل الدماء ويأكلك العاصف المشتعل¹⁷
وظف الشاعر الفعل (سيجرفك) وغرضه الانجازي تهديد المستعمر بنهايته وسيجرفه
سيل الدماء التي اراقها، فالجرف يكون للتراب وغرضه تحقيره ويريد به اخراجه من أرضه،
ووظف الفعل (سيأكلك) وغرضه توضيح نهايته وعدم ابقائه على أرضه.

خاتمة:

- إن التحليل التداولي هو الأنجح في تحليل النصوص كونه يراعي العوامل الخارجية
وما لم يتم قوله وكتابته. فهو يهتم بقصد المتكلم للتأثير على المتلقي.
- توفرت القصيدة على جل الأفعال الكلامية، الاخبارية والطلبية والتعبيرية والالزامية،
- على الرغم من قصر القصيدة الا أنها احتوت أغلب الأفعال وهو ما يبرز شحنة
وقوة الفعل في التعبير ومدى انجازيته.

- طغت الأفعال الطلبية والتي تبين قصد الشاعر من قصيدته وهو التهديد وطلب رحيل المستعمر واقتلعه من جذوره في قوله سيجرفك.
- الأفعال الاخبارية في الدرجة الثانية والمناسبة لوصف المستعمر وجرائمه والدمار الذي خلفه من سفك الدماء وإبادة جماعية كما يصف موت الضمير وعدم مبالاته لأنات الضعفاء. فقد كشفت حقيقته الدنيئة.
- وعكست الأفعال الطلبية غضب الشاعر منها، رويك، تمهل حذاري.
- بينت لنا القصيدة مأساة حقيقية تعيشها الشعوب المستعمرة.
- إن النجارية الأفعال الكلامية تزيد من حماسة الشعوب، وتدفعها للاستقلال.
- إن القارئ للقصيدة يستطيع إسقاط مأساتها على أي شعب من الشعوب كشعب فلسطين وهو ما يوحي به العنوان.

قائمة المراجع

1. أبو القاسم الشابي، ديوان أغاني الحياة، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، ط2، 2012.
2. أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية، منشورات عكاظ، الرباط، المغرب، 1989.
3. باديس لهوعل، مظاهر التداولية في مفتاح العلوم للسكاكي، عالم الكتب الحديث، اردن، الأردن، ط1، 2014.
4. جورج بول، التداولية، اليوم، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، دار الأمان، الرباط، ط1، 2010.
5. خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، مع محاولة تأصيله في الدرس العربي القديم، دار الحكمة للنشر والتوزيع، العلمة، الجزائر، ط1، 2009.

6. علي محمود حسن الصراف، في البراغميات، الأفعال الانجازية في العربية المعاصرة، دراسة دلالية في المعجم السياقي، مكتبة الآداب القاهرة، ط1، 1434هـ، 2010م.

7. فرانسواز أرميكو، المقاربة التداولية.

8. مسعود صحراوي، التداولية عند علماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال اللغوية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2005.

9. نوري سعودي، أبو زيد، في تداولية الخطاب الادبي، ص20.

الهوامش:

1 - ينظر، علي محمود حسن الصراف، في البراغميات، الأفعال الانجازية في العربية المعاصرة، دراسة دلالية في المعجم السياقي، مكتبة الآداب القاهرة، ط1، 1434هـ، 2010 م، ص25-26.

2 - باديس لهويل، مظاهر التداولية في مفتاح العلوم للسكاكي، عالم الكتب الحديث، اربد، الأردن، ط1، 2014، ص11.

3 - ينظر : فرانسواز أرميكو، المقاربة التداولية، ص62

4 - ينظر : خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، مع محاولة تأصيله في الدرس العربي القديم، دار الحكمة للنشر والتوزيع، العلمة، الجزائر، ط1، 2009، ص97

5 - ينظر : نوري سعودي، أبو زيد، في تداولية الخطاب الادبي، ص20.

6 - خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، ص99-100.

7 - أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية، منشورات عكاظ، الرباط، المغرب، 1989، ص37.

8 - مسعود صحراوي، التداولية عند علماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال اللغوية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2005، ص45.

9 - ينظر: جورج بول، التداولية، اليوم، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، دار الأمان، الرباط، ط1، 2010، ص128

10 - أبو القاسم الشابي، ديوان أغاني الحياة، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، ط2، 2012، ص146.

11 - المصدر نفسه، ص146.

12 - المصدر نفسه، ص146.

13 - المصدر نفسه، ص146.

14 - المصدر نفسه، ص146.

15 - المصدر نفسه، ص146.

16 - المصدر نفسه، ص146.

17 - المصدر نفسه، ص146.